الإحتلال الفرنسي لمنطقة تلمسان وردود الفعل الوطنية "الأمير عبد القادر نموذجا"

أ. بكاي هوارية
قسم التاريخ جامعة تلمسان

مقدمة

كثيرة هي الكتب والمؤلفات العربية والأجنبية التي تناولت حياة وشخصية الأمير عبد القادر، باعتباره رمز من رموز المقاومة الجزائرية، وبطل من أبطالها، لم تنجب الجزائر من بعده مثيلا له، لا لأنه بطل أو مقاوم فحسب، وإنّما هو رجل اجتمعت فيه كثير من الصفات والخصال لم تجتمع في شخص من قبله أو بعده: فارس فذّ، إمام فقيه، أديب وشاعر ومتصوّف، سياسي وعسكري محنّك، ضحّى بحرّيته من أجل حرّية أمته وبلاده. كلّها صفات جعلته طفرة في تاريخ الجزائر، يعتقد الكثير أنّها لن تتكرّر قريبا، كيف لا وهو مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، وباني أسسها، وموحد قبائلها تحت لوائه.

وقبل الحديث عن الأمير عبد القادر مقاوما ومجاهدا في تلمسان، لا بأس أن نشير إلى العوامل والظروف التي هيأت شخصه لهذه المهمّة محاولين تقديم لمحة وجيزة عن حياته، وظروف بيعته، وتأسيس دولته، فمقاومته للاحتلال الفرنسي، خاصة في تلمسان.

وتجدر بنا الإشارة إلى أن حياة الأمير مرّت بمراحل عديدة يمكن تقسيمها بالشكل التالي:

1- المرحلة الأولى: مرحلة النشأة والتكوين: 1807-1832م.

2- المرحلة الثانية: مرحلة المقاومة وقيادة الدولة 1832-1847م يمكن تقسيم هذه المرحلة إلى ثلاث مراحل هي:

أ. مرحلة القوّة: 1832-1837.

ب. مرحلة الهدوء المؤقت: 1837-1839.

ج. حرب الإبادة: 1839-1847.

3. المرحلة الثالثة: مرحلة المعاناة والعمل الإنساني: 1847-1883 والتي تبدأ بتسليم الأمير وإلقاء القبض عليه لينتهي بوفاته في دمشق.

المرحلة الأولى / مرحلة النشأة والتكوين (1807-1831):

هو الأمير عبد القادر بن محي الدّين، بن مصطفى، بن المختار، بن عبد القادر، بن أحمد المختار، بن عبد القادر، بن أحمد المشهور «بإبن خدّة»، وهي مرضعته، بن أحمد المختار، بن عبد القوي، بن علي، بن أحمد، بن عبد القوي، بن خالد، بن يوسف، بن أحمد، بن بشار بن محمد، بن مسعود، بن طاووسن، ابن يعقوب، بن عبد القوي، بن أحمد، بن محمد، بن إدريس الأصغر، ابن إدريس الأكبر، بن عبد الله المحض، بن الحسن المثنى، ابن الحسن البسط، ابن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وأم الحسن فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله ﷺ.[1]

ولد بالقيطنة الواقعة على مسافة حوالي 20 كلم غربي مدينة معسكر سنة 1222هـ/1807م[2] من أسرة شريفة تنحدر من أصل مراكشي. كان لأسلافها الأدارسة ملك عظيم في بلاد المغرب الأقصى. وأوّل من نزح من أسلافهم عن مراكش عبد القوي الأوّل الذي استقرّ بقلعة بني حمّاد قرب سطيف من أعمال قسنطينة، و ذلك بعد اشتداد الفتن بالمغرب الأقصى.[3]

وبعدها انتقلت هذه الأسرة إلى وهران في عهد الجدّ الأكبر بعبد القادر السيد مصطفى بن محمد بن مختار[4]. تلقى الأمير تربيته الأولى بالزّاوية التي كان يتكفّل بها والده محي الدين الذي كان شيخ الطريقة القادرية والفقيه المرابط الذي ينظر إليه أفراد قبيلته نظرة الولي الصالح[5]، إذ كان كأسلافه من العلماء الذين يرجع إليهم في مشكلات الأحكام لسموّ مكانته وعلمه، وصلاحه، وكرمه، وشرف نسبه وحسبه.[6]

تابع الأمير دراسته بأرزيو ووهران على يد علماء أجلاّء أخذ عنهم أصول العلوم الدّينية –القرآن الكريم والحديث وأصول الشريعة– وفي سنة 1821 أرسله والده إلى مدرسة وهران حيث واصل دراسته على يد أستاذه أحمد بن طاهر البطيوي قاضي أرزيو الذي علمه الرياضيات والجغرافيا والتاريخ إلى جانب العلوم الدينية[8] وبعد رحلته العلمية التي دامت سنتين عاد إلى بلدته القيطنة.[9] وهو يحمل العديد من العلوم.

وفي سنة 1826، وفي عمر لم يتعد الثامنة عشر، قام بمعية والده برحلة إلى البقاع المقدّسة لأداء فريضة الحج[10] عبر تونس، ثم انتقلا بحرا إلى الإسكندرية، ومنها إلى القاهرة، حيث زارا المعالم التاريخية وتعرّفا إلى بعض علمائها وشيوخها:

وبعد تأديتهما لمناسك الحج توجها إلى دمشق، أين تعرّفا على مشاهير الصلحاء والعلماء، حيث كان يقضيان جل وقتهما في الجامع الكبير دائبين على القراءات الدينية[11] وحضور حلقات الدروس العلمية بالجامع الأموي[12] وغيره، حيث استمع إلى الإمام المحدّث عبد الرحمن الكزبري[13] ومن دمشق سافرا إلى بغداد أين تعرّفا على معالمها التاريخية واحتكا بعلمائها ووقفا على ضريح الولي الصالح عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية -ثم عادا إلى البقاع المقدّسة، وبعدها رجعا إلى الجزائر عبر القاهرة ثم إلى برقة ومنها إلى درنة وبنغازي فطرابلس ثم القيروان والكاف إلى أن وصلا إلى القيطنة.

وبعد هذه الرحلة المشرقية أتيحت للأمير فرصة الإطّلاع على أوضاع البلاد العربية وسير حياتها في الحكم والإدارة ومختلف الميادين السياسية والاجتماعية والمعمارية، وقد انبهر وتأثر كثيرا بالنهضة الحديثة والتطورات العصرية التي استحدثها محمد علي باشا في مصر. حيث سيحاول الأمير تبني نفس الأسس عند ما يتولى إمارة البلاد.[14]

ولم يزدد عبد القادر بعد هذه الرحلة إلا شغفا للعلم، حيث انهمك في تحصيل كتب العلوم والفلسفة كرسائل إخوان الصّفا[15] وأعمال أفلاطون وفيثاغورس وأرسطو[16]. وكتب ابن سينا وغيرهم.[17] من كتب التاريخ القديم، وتعمّق في دراسته الفقه والجغرافية والفلك، وفنون اللغة والبلاغة والأصول وعلم الكلام، وحتى كتب العقاقير والطبّ[18]، ولم تكن هذه المرحلة سوى تحضيرية لمرحلة ثانية حاسمة في حياة عبد القادر مع مطلع 1830م/1246هـ، والتي سيحمل فيها لواء

الجهاد والمقاومة، حيث سيكون له دورا هاما في تاريخ أمته وبلاده، و لم يكن له هذا الدّور إلا بعد ذلك النشأة الطيبة التي نشأ عليها، مزودا نفسه بكل مقومات البطل الذي سيقود دولة وشعبا في مقاومة مستعمر لطالما شهد له بالقوّة والجبروت والتّعنّت لا بل أنّه أخلط كلّ أوراقه، وجعله يعيد ترتيبها أكثر من مرّة، خاصة وأنّه أبهر أعظم وأخبث جنرالاتها ممّا جعل فرنسا تغيّرهم لمرّات عديدة.[19]

المرحلة الثانية / مرحلة المقاومة وقيادة الدولة (1831-1847):

هي مرحلة حاسمة وهامة في حياة الأمير لما عرفته من أحداث جسام وانجازات عظيمة وظف فيها مكتسباته القبلية، قدراته العلمية وحنكته السياسية والعسكرية، فلم تشغله المقاومة رغم الظروف الصعبة عن وضع ركائز ومعالم الدولة الحديثة، لما رآه من تكامل بينهما. مرحلة اجتمعت فيها الظروف والعوامل لتصنع من شاب فتي أميرا على دولة، تعاني العديد من المشاكل والظروف السيئة، أوّلها مواجهة مستعمر غاشم، سلبها حرّيتها، وثانيها مشاكل داخلية. قبائل متفرّقة، وأجناس جديدة غريبة تضمر الحقد والضغائن -الكراغلة في تلمسان[20]- وجيران ينتظرون الفرصة السانحة لضمّ الجزائر وتعديل حدودهم[21]، وشعب يعاني الأمرّين في كل جهات الوطن، وطن اغتصبت ونهبت خيراته وثرواته.

تلكم هي الظروف والأوضاع التي كانت عليها الجزائر قبل تولي عبد القادر إمارة البلاد.

فبعد سقوط وهران عام 1831، عمت الفوضى واضطربت الأحول ممّا دفع بشيوخها وعلمائها إلى البحث عن شخصية يولونها أمرهم، فوقع الاختيار على

الشيخ محيي الدين والد عبد القادر لما كان يتسم به من ورع وشجاعة، كيف لا وهو الذي قاد المقاومة ضد الفرنسيين منذ دخولهم، حيث شاركه فيها ابنه عبد القادر الذي أبدى شجاعة وحنكة قتالية عند أسوار مدينة وهران وأشهر معاركه: معركة خنق النطاح الأولى في 03 ماي 1832، وخنق النطاح الثانية في 4 و6 ماي 1832 والتي قادها الأمير لوحده بسبب مرض والده. فكانت فرصة لاختبار عبقريته وقدراته العسكرية. أمّا ثالث هذه المعارك فهي معركة برج رأس العين في 03 سبتمبر 1832 والتي قادها محيي الدين بنفسه انتهت كلها بانتصارات باهرة، كبّدت العدوّ خسائر فادحة في الأرواح.[22]

غير أن الشيخ محيي الدين اعتذر عن الإمارة وقبل الجهاد لكبر سنه، ومرضه، وبعد إلحاح من العلماء والشيوخ، رشح لهم ابنه عبد القادر قائلا: «ولدي عبد القادر شاب تقي، فطن صالح لفصل الخصوم ومداومة الركوب مع كونه نشأ في عبادة ربّه، ولا تعتقدوا أني فديت به نفسي، لأنّه عضو مني وما أكرهه لنفسي أكرهه له.....، غير أني ارتكبت أخف الضرّرين حيث تيقنت الحق فيما قلت مرة مع تيقني أنّ قيامه به أشد من قيامي وأصلح، فسخوت لكم به.....» فرحّب الجميع بهذا العرض وفي 27 نوفمبر 1832، اجتمع زعماء القبائل والعلماء في سهل غريس قرب معسكر، وعقدوا لعبد القادر البيعة الأولى تحت شجرة الدّردار، وأطلق عليه لقب ناصر الدّين، ثم تلتها البيعة العامة في 4 فبراير 1833.[23]

في هذه الظروف كان أمام الأمير تحمل مسؤولية جدّ صعبة، مسؤولية الجهاد والدفاع عن الرّعية وديار الإسلام وهو لا يزال في عنفوان شبابه، ونشر الأمن، وتأديب الخونة والعصاة، وتوحيد القبائل حول مبدأ الجهاد ومقاومة الفرنسيين بكل الوسائل.[24]

بعدما استقرّ الوضع واستتبّ الأمر للأمير شرع في تشكيل حكومته وبث القضاة والعمّال في مختلف أطراف المملكة، وعين مجلسا للشورى، واتخذ من معسكر عاصمة لإمارته، فراح يحمل بعض القبائل على الطاعة، ويضبط جباية الضرائب وفض الخصومات، فحقق بذلك نجاحا باهرا في فرض طاعته على أغلبية القبائل عدا بعض المنازعين كقبيلة الدّوائر والزمالة بقيادة مصطفى بن إسماعيل وابن أخيه المزاري يضاف إليهما الحامية التركية في وهران التي أبت الاعتراف بالأمير هي والقايد إبراهيم في مستغانم. أمّا ابن نونة زعيم الحضر في تلمسان، فقد بعث للأمير يوضح له أنّه لا يعترف بسلطان غير سلطان ملك المغرب محتفظا لنفسه بلقب باشا[25]. فكان على الأمير في هذه الظروف مواجهة عدوين، عدوّ أجنبي متمثل في الاحتلال الغاشم، وعدوّ داخلي متمثل في بعض القبائل والشخصيات المناوئة، ظروف فرضت على الأمير أن يظهر مقدرته على فرض الطاعة واستعمال القدر الكافي من القوة الممزوجة باللّين وسعة الصدر والميل إلى العفو لا لشيء سوى محاولة منه للمّ شمل الجزائريين وتوحيد صفوفهم، لردع اعتقادات فرنسا الرّاسخة في أذهانهم بأنّ العرب غير قادرين على التنظيم وينفرون من الخضوع لسلطان غير سلطان القبيلة، وبذلك هم على ثقة ويقين بأنّ الأمير لن

يتمكن من جمع تيار عربي قادر على النضال والمقاومة.

في هذه الأثناء عين الجنرال دييمشال قائد للقوات الفرنسية في وهران بتاريخ 23-04-1833، هذا الذي سيكون له قصة مليئة بالعبر مع الأمير عبد القادر، خاصة وأن دييمشال هذا انتهج سياسة ذات وجهين للقضاء على الأمير، ركّز على المجهود الحربي وتكثيف العمليات العسكرية في المرحلة الأولى، وأبدى ميولا واضحا إلى السلم والمهادنة في الثانية بعد تأكده من قوة مقاومة الأمير وتقدمها.[26]

وأول ما فعله دييمشال هو شن هجوم على قبيلة الغرابة القريبة من وهران في 07 ماي 1833. ونهب قطعانها وسكانها، ثم احتلال مدينة أرزيو في 4 جويلية من نفس السنة -بعدما خدع أنصار الأمير بعائلاتهم وخيولهم- الأمير في حين كان منهمكا في إخضاع مدينة تلمسان واعترافها بسلطانه، باعثا إلى ابن نونة يعظه ويأمره بإعلان الطاعة ويعده بالعفو عنه غير أن هذا الأخير أبى وتمادى، ثم جمع قواته التي تتكوّن من الحضر، وخرج بهم لقتال الأمير إلا أن الكراغلة انتهزوا الفرصة وانقضوا من الداخل على الحضر خصومهم التقليدين. ونهبوا منازلهم، وأعلنوا الطاعة للأمير، انتهت هذه المشادات باستسلام تلمسان، وفرار ابن نونة إلى ضريح سيدي أبي مدين الغوث ملتجئا، فلحق به الأمير إلى ضريح فأمنه وعفا عنه ولم يغادر تلمسان إلا بعدما أصلح خللها، وأبرم الصلح بين الحضر والكراغلة.[27]

وفي طريقه إلى معسكر بلغه نبأ وفاة والده محيي الدين في 20 جويلية 1833، إذ تألم الأمير لفراق والده للمكانة التي كان يشغلها والده في نفسه، إلا أنّ هذا الحادث لم يقلل من عزمه ولم يغيّر من خططه في الجهاد. إذ بادر إلى اخضاع

مجموعة من المناطق منها بلاد المجاهرة التي كانت تتاجر مع فرنسا، ثم مستغانم التي كانت حاميتها التركية لا تعترف بسلطانه، في الوقت نفسه غَزَا ديميشال قبيلة الزمالة التي كانت قد انفصلت عن الدوائر وأعلنت الطاعة للأمير، ليدخل ديمشيال في مشادات برّية وبحرية مع الأمير بسواحل مستغانم، كان الانتصار فيها حليف الأمير حينها اقتنع ديميشال بضرورة إبرام اتفاق مع العرب يضمن السلام والحرية والتبادل التجاري، أفضل له من لقاءات دموية لا جدوى منها. فكتب عدّة رسائل إلى الأمير يؤكد فيها رغبته الصريحة في عقد معاهدة، غير أنّ الأمير الذي كان بحوزته جمع من الأسرى الفرنسيين. كان يتماطل ريثما يصبح في مركز قوة يسمح له بفرض شروط ملائمة له، واستمرت الاتصالات بين الطرفين إلى أن تم الاتفاق الذي يعرف بمعاهدة ديميشال[28] بتاريخ 26 فبراير 1834 التي تنص على بنود هي كالتالي:

1- وقف القتال بين الطرفين.

2- احترام الديانة الإسلامية.

3- التزام الفريقان برد الأسرى.

4- إعطاء الحرية الكاملة للتجارة.

5- التزام العرب بارجاع كل من فر إليهم من العسكر الفرنسي، ويلتزم الفرنسيون برد كل من يفر إليهم من أهل الجرائم الفارين من القصاص إلى وكلاء الأمير في المدن.

6- من أراد من الأوروبيين السفر إلى داخل البلاد يجب أن يكون حاملا لتذكرة

(جواز سفر) عليها ختم وكلاء الأمير ويصحّحها الجنرال وبذلك يحصل على الحماية في جميع الأقاليم[29].

في هذه الأثناء راح الأمير يستغل هذه المعاهدة بتوجيه كل نشاطه لإقرار الأمن الداخلي واخضاع بعض القبائل الثائرة وتنظيم دولته الفتية وجيشه وتوسيع رقعته الجغرافية، حيث لّما عاد من تلمسان كانت جميع القبائل والمناطق الممتدة من حدود المغرب الأقصى إلى شلف تخضع له وتعترف بسلطانه عدا منطقة المشور التي يتحصّن بها الكراغلة[30]، لا بل كان في نيته القيام بتحرير مدينة مليانة والمدية وشرشال وما جاورها، بل وقسنطينة أيضا.

وفي جانفي 1835، أستدعي ديميشال إلى باريس وعين تريزل بدله، ويكون بذلك الأمير قد فقد سندا متينا لسياسته، خصوصا بعدما علم بأن اتفاقية 4 فبراير، لم تعرض على الحكومة الفرنسية للموافقة عليها، ثم إنّ سلطة ديميشال لم تكن تتجاوز ولاية وهران، وبالتالي فالمعاهدة المبرمة لا يمكن أن تنص على أي أمر يتصل بالولايات الأخرى حتى أن ديميشال ادّعى أن ختمه استعمل لختم هذه الوثيقة دون علمه، حينها أدرك الأمير أنه لا محاله للهدنة مع المحتل الغاشم، فنقضت المعاهدة[31] وعاد هو إلى المقاومة وعادت فرنسا إلى سياستها التوسعية بزعامة الوالي العام الكونت دوري دورلون الذي كان حريصا على التقرب من الأمير وتنظيم علاقات حسن الجوار معه لاسيما بعد امتداد سلطانه ليشمل التيطري – على الرغم من أن ضابطه تريزل[32] كان يصرّ على محاربة الأمير والقضاء عليه حيث سعى دورلون إلى إجراء اتصالات مع الأمير والإشراف

بنفسه على سير المفاوضات في وهران غير أن تريزل عارضه في ذلك. واعتبر أن عامل الوقت ليس في صالحه باعتبار أن كل يوم يمضي سيأتي بإمدادات جديدة للأمير، إذ نهض إلى حرش مولاي إسماعيل في 26 جويلية 1835 لقتال قوات الأمير، غير أن هذا الأخير قطع عليه طريق مواصلاته مع وهران ممّا اضطرّه إلى الاتجاه نحو أرزيو، ونيته دخول وهران عن طريق البحر عبر مجرى ضيق يدعى المقطع، حيث يسجل فيها الأمير أعظم انتصار له على قوات الاحتلال التي عمتها الفوضى وحالة من التشرذم، خصوصا وأنّ المتعجرف تريزل أصبح سجينا في أرزيو بعدما لم تجرؤ قواته على العودة إلى وهران عن طريق البرّ.[33]

توالت الهزائم على القوات الفرنسية، في سيدي مبارك في 03 ديسمبر 1835، والغروف نفس السنة، ثم في معركة وادي الأطشم في 15-04-1836 وبعدها معركة وادي السكاك في 06 جويلية من نفس السنة والتي جمعته بالجنرال بيجو فيما بعد.

ومع رغبة كلوزيل الجامحة في الاستيلاء كليا على تلمسان، فقد راح يعد مشروعا لهذه الجملة تتطلب ميزانية كبرى، خصوصا بعدما وافقت على ذلك وزارة الحربية الفرنسية التي راسلها كثيرا في هذا الشأن.

وفي الوقت نفسه كانت تلمسان تعرف اضطرابات داخلية أهمها أن مصطفى بن إسماعيل كان معتصما بالمشور بتلمسان مع الكراغلة، يوجه النداء إلى الفرنسيين وإلى أنصاره من العملاء وعلى رأسه ابن أخيه المزاري والغماري شيخ الأنكاد الذي كان الأمير قد حكم عليه بالإعدام لخيانته حيث اعتبر

زحفهم على تلمسان خلاص له ولرفاقه، ولّما علم الأمير بهذه التحرّكات، عيّن السيدّ محمد بن فريحة خليفة له على معسكر، وسار هو على رأس قوّة أخرى في اتجاه نهر سيق، فقضى في طريقه على الثائر ابن عودة وقبيلته في جبل أغبال، ولّما اقترب من حشود الأنكاد في المنصورة التي كان يرأسها الغماري أشاع بين الناس بأنه متجه إلى وهران ثم شار إلى الشمال في اتجاه هذه المدينة، غير أنه عاد أدراجه ليلا على رأس جيش أخفاه في غابة الزيتون الواقعة في جنوب غرب تلمسان، وفي الوقت نفسه، خرج الكراغلة لملاقاة حلفائهم الأنكاد على نحو 5 كلم من غرب تلمسان، فالتقى الجيشان في معركة ضارية، فقد فيها الكراغلة والأنكاد. العديد من رجالهم من بينهم الغماري، وأبو زياد مصطفى الأنكادي أحد زعماء القبيلة.[34]

وظلّ الأمير محاصرا للمشور، وسكانه يعانون نقصا في المواد الغذائية، حينها علم كلوزيل باستنجاد مصطفى بن إسماعيل، فهمّ إلى إنقاذه، غير أن الأمير فضل تجنب القتال والتضحية بالرجال والذخيرة والإبقاء على سلامة المدينة، فاضطرّ إلى الجلاء هو والحضر.[35]

أمّا عن مصطفى بن إسماعيل وأنصاره من الكراغلة وطائفة من اليهود، فراحت تستعطف كلوزيل الذي فرض عليهم غرامة مالية كبيرة لدفع تكاليف الحرب مقابل حمايتهم، حيث تعرّضوا للسجن والتعذيب بعد عجزهم عن دفعها.

وبينما كان الجيش الفرنسي منهمكا في استخلاص الغرامة والبحث عن المطامر كان الأمير يعسكر في مرتفع على مسافة 15 كلم شرقي تلمسان – وراء

ضريح سيدي أبي مدين- يراقب تحرّكات الفرنسيين، إذ قام كلوزيل بمحاولة تستهدف القبض على الأمير بمشاركة الكراغلة ومصطفى بن إسماعيل والمزاري، حيث اشتبك الفريقان في معارك ضاربة دامت نحو عشرة أيام أبدى فيها الأمير قوة وبسالة، اضطرّت الفرنسيين إلى العودة إلى تلمسان.

وفي 25 يناير 1837 سار كلوزيل على رأس قوة أخرى تمركز فيها عند ملتقى نهر يسر بنهر التافنا، وفي ليلة 26 إلى 27، خرج الأمير على رأس قوة كذلك يطارد فيها قوات الإحتلال، فضرب معسكره في ملتقى النهرين المعروف بـــ «سبع شيوخ». حيث أرغم كلوزيل على الانسحاب إلى تلمسان مرة أخرى ليغادرها في 7 فبراير عائدا أدرجه إلى وهران. تاركا وراءه حامية بقيادة كافينياك، ونصب عليها العميل مصطفى بن باي مكالش، باي وهران الأسبق، معتقدا بذلك أنّه أخضع تلمسان، مشيعا بأنّ الحرب قد انتهت، وأنّ الأمير لاذ بالفرار إلى الصحراء، وما هي إلاّ ادعاءات لتهدئة نفوس المعمرين، غير أنها كانت تعبيرا واضحا منه عن فشله التام في الغرب أمام قوات الأمير، لأنّ القبائل التي غرّر بها الفرنسيون أو تلك التي أخضعت بالسلاح، سرعان ما عادت إلى ولائها للأمم بمجرّد مغادرة الفرنسيين لها، ثم أنّ الأمير عاد مرة أخرى لمحاصرة الحامية الفرنسية في تلمسان.

ولما ارتحل كلوزيل إلى فرنسا في 14 أفريل ترك تعليمات للجنرال دارلنج قائد القوات في وهران- بأن يقوم بتحصين معسكره عند مصب نهر التافنا ليكون قاعدة للمواصلات بين أرشقول وتلمسان، التي عجز هو عن إقامتها

فلبّى درالنج الأمر مقيما المعسكر ومحاول فتح الطريق إلى تلمسان في 26 أفريل 1836 غير أن الأمير الذي كان قد بلغه النبأ سار إلى ندرومة، لمراقبة تحركات العدوّ عن طريق الرابط بين التافنا وتلمسان، ومن التافنا سار إلى كل القبائل الممتدة على هذه الطرق محرّضا، واعظا وداعيا، بعدها اعترض بجيشه قوات العدوّ بوادي التافنا، لتدور بينهما معركة شديدة فاصلة، شتت فيها قوّات دارلنج وأصيب هو ورئيس أركان حربه بجروح بالغة، وبذلك سجل الأمير وجيشه انتصارا عظيما، ستكون له آثار سياسية عميقة الأبعاد في مجرى الحوادث، خصوصا وأنّ الأمير لم يقتنع بهذا النصر، فضيّق الخناق على معسكر التافنا إلى أن نفذت مؤن الجيش المحاصر، وممّا زاد الطين بلة هبوب رياح قوية، وتساقط أمطار غزيرة، منعت وصول المؤن عن طريق البحر فأصبح جرحاهم في العراء، بدون مأوى، وساءت أحوالهم، فاضطرت الحربية الفرنسية بباريس إلى إرسال الجنرال بيجو في 3 ماي 1836 على رأس ثلاثة فيالق من المشاة لإنقاذ الموقف وفك الحصار المضروب على الحامية الفرنسية السجينة في المشور ومدّها بالمؤن.

وخلال هذه التنقلات ترك الأمير بيجو وشأنه، وبقي مراقبا، لم يتعرّض له لا في الذهاب ولا في الإياب، غير أنّ بيجو أحس بالخطر لهذا الهدوء، فلجأ إلى الحيلة، فعيّن الكولونيل كومب على رأس ثلاث كتائب وسيره مع القافلة التي تحمل المؤن في المقدّمة، بينما بقي هو مع معظم قواته في المؤخرة. غير أن الأمير تفطّن لحيلته. فقسّم جيشه إلى قسمين: قسم في الضفّة الشرقية لنهر يسر، وقسم في الضفة الغربية، فدارت بينهما معارك حاسمة، اعتبر الفرنسيون نهايتها نصرا

لهم، فسار بيجو إلى تلمسان حيث تتمركز حامية كافينياك بمؤازرة جمع من الكراغلة واليهود.

أمّا الأمير فقصد معسكره في العين الكبيرة بالقرب من ندرومة، ومنها راح يوجه الرّسائل إلى المدن والأرياف يدعوهم إلى الجهاد والاستعداد لملاقاة العدوّ من جديد، ثم عاد منها إلى حصار الحامية الفرنسية بتلمسان بعدما تركها بيجو العائد إلى وهران. حينها أدركت الحكومة الفرنسية عظمة القوّة الشعبية التي يمثلها الأمير. خصوصا بعدما وضع قواتها في موقف حرج بحصاره الإقتصادي على تلمسان، ووهران، إضافة إلى فشلهم في اقتحام وسائل الدفاع في قسنطينة، اقتنعوا بأنه سيد الموقف فيها يتعلق بتوفير وسائل الحياة لهم.[36]

لذلك اضطرّوا إلى الإتصال بالأمير وعرض صفقة عليه تتمثل في أن يسمح الأمير بتموين القوّات الفرنسية بالقمح واللّحوم في المدن المحتلة في مقابل السماح له بشراء ما يحتاج إليه من الفولاذ والكبريت من نفس المدن، فقبل الأمير العرض دون تردّد خاصة وأنّ الجنرال بروصارد قائد القوات في وهران، وعده بإعادة 130 من أسرى معركة وادي السكاك.

ومن هنا بدأت رسائل ونداءات عقد الهدنة والصلح، حيث بعث بيجو رسالة إلى الأمير جاء فيها:

« أستطيع أن أعرض عليك السلم بصراحة نبيلة لأنني أحس في نفس بقوّة تامة بتكوين جيشي، وبنشاطي وحيويتي الشخصية إذا كنت تنصت إلى صوت الإنسانية، والحكمة فابعث لي برجال تثق بهم ليحملوا إليّ مقترحاتك. لكي

أحوّلها إلى ملك الفرنسيين». وعلى إثر هذه الاتصالات وقّعت معاهدة التافنا في 30 ماي 1837. [37]

هذه المعاهدة التي استغلّها الأمير ليستردّ أنفاسه وإصلاح أحوال بلاده وترميم ما أحدثه المعارك بالحصون والقلاع، وتنظيم شؤونها، وتعزيز قواته العسكرية، بإدخال بعض الإصلاحات الإدارية والعسكرية منها:

1- تشكيل مجلس وزاري مصغّر يضم رئيس الوزراء، نائب الرّئيس، وزير الخارجية، وزير الخزينة الخاصة، ووزير الأوقاف والأعشار. والزكاة، ثم الوزراء الكتبة وهم ثلاثة حسب الحاجة، واتخذت هذه الوزارات من مدينة معسكر عاصمة لها.

2- تأسس مجلس الشورى الأميري ويتكوّن من 11 عضوا يمثلون مناطق مختلفة.

3- التقسيم الإداري للبلاد إلى ولايات وكل ولاية يديرها خليفة وقسم الولاية إلى عدة دوائر ووضع على رأس كل دائرة قائدا يدعى أغا وتضم الدائرة عدد من القبائل يحكمها قائد، ويتبع القائد مسؤول إداري يحمل لقب شيخ.

4- تنظم الميزانية وفق مبدأ الزكاة وفرض ضرائب إضافية لتغطية نفقات الجهاد وتدعيم مدارس التعليم ...إلخ.

5- تدعيم القوة العسكرية بإقامة ورشات للأسلحة والذخيرة كتلك التي أنشاها في تلمسان لصنع المدافع والتي اسند إدارتها لخبير إسباني إضافة إلى بناء الحصون وترميم القلاع كحصون سعيدة وسبدو غربا وسباو وعريب وبوخرشفة وتازا وتاكدمت في الجهة الشرقية والجنوبية على مشارف الصحراء، حتى يزيد من فاعلية جيشه.

6- تصميم علم وطني وشعار رسمي للدولة.

7- ربط علاقات دبلوماسية مع بعض الدول.

سمحت هذه المعاهدة للأمير بتوسيع ملكه، حيث أصبحت تشمل إلى جانب ولاية وهران (فيما عدا مدينة وهران وأرزيو ومستغانم ومسرغين وضواحي هذه المدن)، ولاية التيطري، وولاية الجزائر نفسها (عدا العاصمة وسهول متيجة التي يحدها من الشرق وداي الخضراء، ووادي بودواو، ومن الجنوب الأطلس الصغير مع البليدة وأراضيها حتى سفوح مزغران) وتلمسان التي تخلت عنها فرنسا لمكلفها احتلالها من تضحيات جسام، أي أن المعاهدة لم تترك لفرنسا سوى ساحل متيجة والبليدة التي تنازل عنها الأمير في اللحظة الأخيرة تحت التهديد بوقف المفاوضات.

8- استغل الأمير الصلح مع فرنسا في توسيع سلطته وتثبتها داخل البلاد خاصة في تلمسان التي أقام بها فترة طويلة لإزالة الفوضى، وأدخل إصلاحات على قلعة المشور وبنى الدور وعمّر المدينة من جديد.[38]

وإذا كانت للأمير مكاسب فإن لفرنسا أيضا مكاسب منها:

1- مجرد اعتراف الأمير بالسيادة الفرنسية على بعض المناطق من الجزائر مكسب لفرنسا. (المادة 2)، وهو مبدأ كان يرفض التنازل عنه طيلة سنوات نضاله.

2- إدارة شؤون المسلمين المقيمين في المنطقة الفرنسية، مع أن الأمير وافق على هذا الشرط مقابل أن يبقى هؤلاء تحت سلطة رجال الدين ويمارسون شعائرهم الدينية بكل حرية (المادتين 2-5).

3- السيطرة على بعض المناطق السالفة الذكر (المادة 2)

4- امتيازات اقتصادية خاصة بالاقتصاد الفرنسي: حيث سمح لفرنسا باستغلال بعض المناطق الساحلية وبيع محصولاته في الأسواق الفرنسية (المادة 10-14).

5- ولعل أهم مكسب في هذه الهدنة هي الفرصة التي تسمح لبيجو بالتفرغ لإخماد مقاومة أحمد باي في المنطقة الشرقية وتدريب جنوده على المناطق والمسالك الوعرة لمجابهة الأمير مرة أخرى، وإعداد فرق عسكرية خاصة بحرب الجبال، وكذا انتظار وصول الإمدادات العسكرية من فرنسا.

لكن هل احترم الفرنسيون هذه المعاهدة؟

المعروف أنه بعد فترة هدوء، خرق الفرنسيون المعاهدة بقيادة المريشال فالي بعبور قواته الأراضي التابعة للأمير.

فاجتمع بذلك مجلس حرب الأمير وأصدر بيانا جاء فيه: « إن الفرنسيين المعتدين على البلاد الإسلامية بعدما عاهدناهم وسالمناهم نكثوا وجالوا في بلادنا وعاثوا، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن المعلوم أن التهاون في مثل هذا الأمر، والإغضاء عنه يزيدهم طغيانا واعتداءا علينا فلذلك اجتمعنا في مجلس عال لحضور سيدنا المعظم، ومولانا المفخم، ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين نصره الله لأجل المذاكرة في هذا الأمر المهم، والخطب الملم، فوفقنا الحق تعالى جل جلاله للجواب وألهمنا جادة الصواب، واتفقت كلمتنا على إعلان الجهاد، والقيام بواجبه على أكمل استعداد، وقد بايعنا حضرة أميرنا على الوفاء بواجبات الجهاد الشرعية وعقدنا فيما ذكرناه، ومن الله نستمدّ العناية، وهو ولي

الهداية».[39] حرّر في 11 رمضان 1355هـ/19 نوفمبر 1839م.

فاستؤنفت على إثر ذلك المقاومة وامتدّت إلى عدّة جهات، واستعمل فيها الأمير الحرب النظامية وحرب العصابات إلى حين وقعت المواجهة في معركة حامية بـ سيدي إبراهيم التي أبلت فيها المقاومة الجزائرية بلاء حسنا. حيث خرج الكولونيل مونتانياك في 21 سبتمبر 1845. على رأس قوة تتكوّن من 346 جندي من قناصة أوروبية و67 جندي من الهوسار و3 من كبار الضباط في المكان المسمى بسيدي عبد الله، وسمع الأمير بهذا الخبر، وفي صبيحة 23 سبتمبر أخذ مونتانياك قوة وصعد بها إلى قمة الجبل الذي يعتصم فيه 200 فارس جزائري قصد إرهابهم، لكنهم لم يأبهوا لأمرهم، و لم يتراجعوا لأن ذلك كان من صلب خطة الأمير لاستدراجهم، حيث بادر الكولونيل بمطاردتهم وإطلاق النار عليهم، لكنهم وقفوا صامدين مقاومين ليجد مونتانياك نفسه أمام قوة كبيرة أثناء المعركة التي دارت بينهما.

حينها دخلت قوتان جزائريتان الأولى بقيادة الأمير عبد القادر، والأخرى بقيادة خليفته البوحميدي، ففضّل مونتانياك ساعتها الانسحاب نظرا للخسائر التي تكبدّها، خاصة- الماجور جير والذي أسره الأمير، و لم يبق من المعركة من القوة الفرنسية سوى 82 جنديا. هؤلاء الذين انتهزوا فرصة انشغال رجال الأمير بجمع الغنائم ولجؤوا إلى تحصين سور ضريح سيدي إبراهيم، وفتحوا النيران على رجال المقاومة وقتلوا عددا منهم، فأمر الأمير قوّة صغيرة من رجاله بضرب حصار حولهم، وظن الجنرال «برال» قائد ثكنة وهران أن المسألة خدعة من

الأمير، فرفضت القوة المحاصرة الاستسلام. وأمام قلة الذخيرة والمؤونة، حاولوا التسلل ليلا حتى وصلوا وادي أولاد إيري، وهناك انقض عليهم رجال الأمير ولم ينجو منهم سوى 15 جنديا، أخذوا أسرى.[40]

وبذلك تعتبر هذه المعركة من أهمّ المعارك التي خاضها الأمير في آخر عهده، حيث بعدها بدأت نهاية الأمير كمقاوم صلب شهم شجاع طوال 17 عاما حيث وجد نفسه في الأخير في مواجهة جيش منظم، مهيأ تهيئة كاملة. هدفه احتلال الوطن احتلالا كاملا، كما وجد نفسه أمام خيانات كثيرة لم يستطع التغلب عليها في كل الأوقات أهمها خيانة ليون روش والسلطان المغربي مولاي عبد الرحمن وغيرهم كثير.

وتوالت النكسات خاصة بعدما انتهج الفرنسيون سياسة الأرض المحروقة كما هي مفهومة من عبارة بيجو: «لن تحرثوا الأرض، وإذا حرثتموها فلن تزرعوها، وإذا زرعتموها فلن تحصدوها.»

حيث كان لهذه السياسة أثرها الواضح في تراجع قوة الأمير لا سيما بعد سقوط عاصمة الزمالة[41] وفقدانه قواعده الخلفية في المغرب الأقصى، وبعدما ضيّق عليه الخناق السلطان المغربي متحججا بالتزامه بنصوص معاهدة لالا مغنية. التي سنورد تفاصيلها، فأمر جنده لمطاردة الأمير وأتباعه بما فيه القبائل التي فرّت إلى المغرب من بطش الاحتلال، الأمر الذي حز في نفس الأمير كثيرا، وأحبط معنوياته مما اضطر إلى الاستسلام حماية لبلده وأمته. وتعود تفاصيل هذه القضية إلى الوقت الذي قام فيه الماريشال بيجو بتعزيز المراكز العسكرية الحدودية

للدفاع في المرحلة الأولى وللهجوم متى سمحت الظروف، بانشاء ثلاثة مراكز جديدة: اثنين في جنوب تلمسان (سبدو وسعيدة) والآخر غرب تلمسان عند لالة مغنية التي كانت سلطات المغرب الأقصى تعتبرها جزءا من أراضيها، وذلك عند مدخل سهول وجدة على مسافة 25 كلم من هذه المدينة، الأمر الذي أثار هيجانا كبيرا في وجدة، حيث أعلن سكانها الجهاد من تلقاء أنفسهم[42].

وعلى إثر ذلك وجّه سي الطيب القناوي قائد القوّات المغربية في المنطقة في 22 ماي 1844 إنذارا إلى السلطات الفرنسية للجلاء عن مغنية والانسحاب، غير أن لاموريسيار اعتبر احتلال هذا المركز من أجل إخضاع قوات الأمير.

وفي 30 ماي وقعت معركة بين الطرفين عند ضريح سيدي عزيز حيث انتهت بانسحاب المغاربة.

وفي 11 جوان 1844 وصل بيجو إلى مغنية لمواجهة الموقف، فكتب إلى قنصل فرنسا في طنجة يبلغه تطوّرات الموقف ويطلب منه الاتصال بالسلطات المغربية ليعرض عليها رغبة فرنسا في التفاوض معها لرسم حدود البلدين، ويطلب منها اعتقال الأمير عبد القادر في إحدى مدن المملكة إذا التجأ إلى المغرب الأقصى وفي لالة مغنية، عرض بيجو على القناوي إجراء محادثات لتسوية النزاع، فقبل القائد المغربي بهذا الاقتراح، وتمّت المقابلة في 16 جوان، غير أن المحادثات توقفت بعدما أطلق المغاربة النار على القوّات الفرنسية، فكتب بيجو للقناوي يبلغه بعزمه على احتلال مدينة وجدة. لا للبقاء فيها بل لطرد القبائل الجزائرية اللاجئة في المنطقة.

وبالفعل زحف بيجو إلى وجدة فاحتلها دون مقاومة. وفي هذه الفترة توالت الاتصالات بين القوات الفرنسية والأمير من أجل عقد صلح جديد خصوصا بعد حادثة ليون روش.

وفي الوقت نفسه وجهت القوات الفرنسية إنذارا إلى السلطات المغربية تؤكد فيها مطالبها وتحديد مهلة لإعلان قبولها، حيث شرع في قصف طنجة بالمدافع يوم 6 أوت، ثم الصويرة (موجدور) في يوم 25 أوت، إذ ظلت المدينة الأخيرة تشتعل طيلة سبعة أيام كاملة.

وبعدها التقى الجمعان في معارك ضاربة خلّفت أكثر من 800 قتيل و2000 جريح من الجانب المغربي، ممّا اضطرّ السلطات المغربية إلى توقيع معاهدة صلح مع فرنسا في 10 سبتمبر 1844 تقضي نصوصها:

1- منع تقديم السلطان أية مساعدة بالسلاح والذخيرة أو غير ذلك من لوازم الحرب للأمير. أو لأي ثائر آخر أو لأي عدوّ لفرنسا.

2- الأمير عبد القادر خارج عن القانون في جميع أنحاء المملكة المغربية وفي الجزائر على السواء.

وتبعا لذلك تفرض مطاردته بالسلاح في الجزائر والمغرب حتى يطرد أو يقع في قبضة سلطاته، وفي حالة وقوعه في قبضة السلطات المغربية، يتعهد السلطان باعتقاله في إحدى مدن الشواطئ المغربية في المملكة[43].

وفي 18 مارس 1845 [44] وقع الطرفان المغربي والفرنسي اتفاقية أخرى لرسم الحدود نصت عليها معاهدة طنجة في لالة مغنية وعلى أساسها أغلقت الحدود

المغربية في الشرق في وجه الأمير والقبائل التي تنوي الهجرة إلى المغرب، ومنعت تسرب عناصر المقاومة أو دخول أيّة مساعدة للأمير، خصوصا بعدما دسّ السلطان المغربي إلى القبائل المجاورة بالتضييق على الأمير وقطع التموين عنه ومجافاته، لا بل أمر جنده بمطاردته هو وأتباعه من القبائل التي فرّت إلى المغرب من بطش الاحتلال.

الأمر الذي حز في نفسية الأمير كثيرا، وأحبط معنوياته إضافة إلى استسلام شقيقه مصطفى وسعيد والخليفة بن سالم، وممّا زاد الطين بلة قتل خليفته الشجاع البوحميدي بالمغرب الأقصى مسموما، كلها عوامل اجتمعت ليضطر الأمير إلى الاستسلام حماية لبلده وأمته.

وبوصول الأمير منطقة الحدود في 22 ديسمبر 1847، وجد الجنرال لاموريسير يشدد حراسة المداخل إلى الجزائر، عندئذ أدرك الأمير أن الفرنسيين يعرفون كل شيء عن وضعه وتحركاته، وأن المقاومة التي كانت صعبة في الماضي، لم تعد ممكنة بعد الآن، ولذلك قرّر الإستسلام، مع دائرته لفرنسا. فأرسل إلى الجنرال لاموريسير يبلغه بنيته هذه، شريطة التعهد بنقله مع عائلته إلى الإسكندرية فقبل القائد الفرنسي هذا الشرط، ووضعت الترتيبات لتسليم المقاومين وعلى رأسهم الأمير عبد القادر في 23 ديسمبر 1847، في مكان غير بعيد عن ضريح سيدي إبراهيم الذي شهد أعظم انتصاراته على الجيش الفرنسي، وبذلك انتهت هذه المرحلة من المقاومة الجزائرية ليدخل الأمير مرحلة من المعاناة والعمل الإنساني خصوصا بعدما لم يف الفرنسيون بعهودهم [45].

المرحلة الثالثة / مرحلة المعاناة والعمل الإنساني (1847-1883):

بعد إلقاء القبض على الأمير نقل إلى مدينة طولون، عندها تمنى الأمير الموت في ساحة الوغى. على أن يحدث له ذلك، وقد عبّر عن أسفه قائلا: «لو كنا نعلم أنّ الحال يؤدي إلى ما آل إليه، لم نترك القتال حتى ينقضي الأجل»، وبعدها نقل وعائلته إلى الإقامة في «لازاريت» ومنها إلى حصن لا مالغ بتاريج 10 جانفي 1848، ومنها إلى مدينة "بو" (Pau) في نهاية شهر أفريل من نفس السنة، ليستقر بها إلى حين نقله إلى لامبواز في 16 أكتوبر 1852، وهي السنة التي أطلق فيها نابوليون الثالث سراحه، بعدها استقرّ الأمير في اسطنبول، وخلال إقامته هذه زار ضريح أبي أيوب الأنصاري، وجامع آيا صوفيا، إلا أنه فضّل الإقامة في مدينة بورصة لتاريخها العريق ومناظرها الجميلة ومعالمها الأثرية، لكنّه لم يبق فيها طويلا نتيجة الهزّات الأرضية التي كانت تضرب المنطقة من حين لآخر، فانتقل إلى دمشق عام 1855، بتفويض من السلطان العثماني، وفيها تفرّغ للقراءة والتصوّف والفقه والحديث والتفسير، وأهم المواقف الإنسانية التي سجّلت للأمير، تصديه للفتن الطائفية التي وقعت بين المسلمين والمسيحيين في الشام عام 1860، فتحوّل الأمير إلى شخصية عالمية تحظى بالتقدير والاحترام في كل مكان يذهب إليه حيث دُعي لحضور تدشين قناة السويس عام 1869.

وبعد هذا المشوار الحافل بالأحداث التاريخية، توفي الأمير يوم 26 ماي 1883، في دمر ضواحي دمشق عن عمر يناهز 76 سنة، دفن بجوار ضريح الشيخ محيي الدين بن عربي الأندلسي، ثم نقل جثمانه إلى الجزائر عام 1966، ليدفن بمقبرة

العالية تاركا مؤلفات هامّة وتاريخا عظيما سجله التاريخ بأحرف من ذهب.

ومن مؤلفاته:

- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل.
- المقراض الحاد لقطع اللّسان منتقص الإسلام بالباطل والإلحاد.
- المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد.

وبذلك انتهت مسيرة الرجل ومقاومته لكن مقاومة الشعب الجزائري ظلت مستمرة قائمة إلى أن أفتكت الاستقلال من المستعمر الغاشم فرحم الله الأمير عبد القادر وكل الشهداء الأبرار.

الهوامش

[1] محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، ط2، منشورات دار اليقظة العربية، بيروت، 1964، ص923-932 وأيضا. محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة فونتانة الشرقية، ج2، الجزائر، 1906، ص308.
وأيضا، شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، منشورات الدّار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص39. أنظر أيضا، مبخوت بودواية، مقاومة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الغربي الجزائري 1908/1864، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة عين شمس مصر، 1992.

[2] محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص925، وأيضا، أ.ف دنيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ب ت، ص20-21.

[3] محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 926.

[4] فؤاد صالح السيد: الأمير عبد القادر الجزائري متصوّفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص27.

[5] أحسان حقي، الجزائر العربية أرض الكفاح المجيد، ط1، منشورات المكتب التجاري، بيروت،1961، ص41.

[6] الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر ومحمد الناصري، ج9، منشورات دار الكتاب، دار البيضاء، 1956، ص41.

[7] تشرشل، المصدر السابق، ص39، وأيضا، تحفة الزائر، ص932.

[8] تحفة الزائر، ص932.

[9] فؤاد صالح السيد: المرجع السابق، ص35.

[10] تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ص45، أيضا، جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق، في القرن 19، ج1، ط2، مطبعة الهلال مصر، 1910، ص183.

[11] تشرشل، المصدر السابق، ص45.

[12] يحيي بوعزيز: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ط2، دار الكتاب الجزائري، مطابع دار الفكر، دمشق، 1964، ص20.

[13] هو أبو المحاسن وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكزبري (1771-1846)م. الدمشقي، الشافعي، عالم محدّث، ولد بدمشق، وتوفي بمكة حاجا، أنظر في ذلك، الزركلي خير الدين، الأعلام، ج4، مصر، 1957، ص110 وأيضا، عبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق وتعليق محمد بهجت البيطار، ج2، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق 1963، ص195-198.

[14] صلاح العقاد: تطوّر السياسة الفرنسية في الجزائر، منشورات جامعة الدول العربية، القاهرة، 1960، ص08.

[15] يحيي بوعزيز، المرجع السابق، ص08.

[16] تشرشل، المصدر السابق، ص47.

[17] رابح بونار، الأمير عبد القادر حياته و أدبه، مجلة آمال، العدد8، 1970، ص14.

[18] تشرشل المصدر السابق، ص47.

[19] اضطرت فرنسا إلى تغيير بعض قادتها وجنرالاتها أكثر من مرّة لفشلهم في إخماد المقاومة الجزائرية خاصة مقاومة الأمير، مما دفعها إلى استقدام أخبث جنرالاتها أمثال بيجو وغيرهم.

[20] راجع في ذلك إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

[21] تحفة الزائر، ص 147، وأيضا إسماعيل العربي المرجع السابق، ص28.

[22] مصطفى بن التهامي: سيرة الأمير وجهاده، دار الفكر الإسلامي، ط1، 1995، ص24.

[23] اوصديق فوزي، النظام الدستوري الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، ط5، الجزائر، 1995، ص11، وأيضا، مصطفى النويصر، الأمير عبد القادر في الذكرى المئوية (1883-1930). مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1984، ص16، وأيضا، فؤاد صالح السيد، المرجع السابق، ص 51. وأيضا، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص64-65.

[24] محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية (1830-1954) منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط1، الجزائر، 1994، ص39.

[25] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 28، 29، 44، 45، بوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم، أبو العيد دودو، دار هومه، ط2، الجزائر، 1996، ص75-78.

[26] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص47.

[27] بوهان كارل بيرنت، المرجع السابق، ص76-77، وأيضا، إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص47-48.

[28] تحفة الزائر، ص166. وأيضا، تشرشل، المصدر السابق، ص78.

[29] بسام العسلي، الأمير عبد القادر الجزائري، ط1، دار النفائس، بيروت ص 81-82، ذاكرة الجزائر، صفحات من تاريخ المقاومة الشعبية عبر العصور المتحف المركزي للجيش، الجزائر، ص174-175.

[30] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص63-175.

[31] يحيي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19 و20، ج1، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ص38-39.

[32] تريزل جنرال فرنسي (1786-1860) بدأ خطواته الأولى في الجيش الفرنسي مع نابوليون، أشرف على معركة المقطع ضد الأمير، عين كوزير للحرب سنة 1835. للمزيد أنظر محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1982، ص19.

[33] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص176 وأيضا ذاكرة الجزائر، مرجع سابق، ص.ص163-166.

[34] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص120-121 وأيضا، دنيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، دار هومه، للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ص71-72.

[35] راجع تفاصيل الحصار في: يوهان كارل برنت، المرجع السابق، ص ص 79-85، وأيضا، إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص120-121.

[36] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص130.

[37] راجع نص المعاهدة كاملا في: دنيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية في الجزائر، ص118-119 وأيضا إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص151-152.

[38] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص156-157. وأيضا يحي بوعزيز:النظم المدنية والعسكرية لدولة الأمير عبد القادر، مجلة منبر الجامعة، عدد خاص، نوفمبر 2000 ،ص5.

[39] مبخوت بودواية، مرجع سابق، محمد الطيب العلوي، مرجع سابق، ص47-48.

[40] ذاكرة الجزائر، صفحات من تاريخ المقاومة الشعبية عبر العصور ص168، 172، 178. وأيضا، محمد الطيب العلوي، مرجع سابق ص48، وأيضا إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص.ص250-266.

[41] أديب حرب: التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج2، ط2، دار الرائد للكتاب ، الجزائر، 2004، ص429.

[42] إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص271- 272.

[43] نفسه، ص.ص280-282.

[44] نفسه، ص282.

[45] نفسه، ص316-317.